MERS
MIDDLE EAST RESEARCH AND STUDIES

Source : AN-NAHAR
Date : 24-8-95
Photo No. : 205

"السيف النظيف" يتلطخ في زمن السلم

ليس في اساطير التأسيس الصهيونية، على الارجح، ما هو أقوى وأرسخ أمداً من اسطورة "السيف النظيف" التي لازمت، على مر الانتصارات، تصوّر المجتمع الاسرائيلي لجيشه: سلاح لا يُشهر الا عند الحاجة وفي حروب عادلة، سلاح لا يقتل الا عند الضرورة، لا يستخدم للسرقة او الارهاب، سلاح يبقى بريئاً مهما تلطّخ بالدم.

بالطبع نعرف، نحن العرب، ان هذه الصورة باطلة جملة وتفصيلاً. وقد خبرنا، منذ عام ١٩٨٤ الى يومنا هذا، ان سيف المحارب هو سيف جزّار لا يتوانى عن قتل المدنيين بالعشرات واحياناً بالمئات، وعن ارتكاب جرائم الحرب كافة من اغتصاب وسرقة وتعذيب. لكن الصورة التي تشكّلت عندنا، باللحم والدم، عن همجية الجيش الاسرائيلي لم تخرق يوماً جدار السمعة الحسنة الذي اقامته الدعاية الاسرائيلية في دول الغرب. فكيف باختراق الرأي العام الاسرائيلي نفسه؟

لذلك تحديداً تحمل الاعترافات الاسرائيلية الاخيرة بحوادث قتل متعمّد لأسرى مصريين وفلسطينيين في حربي ١٩٥٦ و١٩٦٧، اهمية فائقة. فهي، بخلاف الملفات القذرة التي فتحت خلال اجتياح لبنان، تتعلق بحربين كانتا (وما زالتا) موضع اجماع وطني بصفتهما "حربين دفاعيتين" بحسب تعريف الدعاية الصهيونية لهما.

لا شك ان وراء فتح هذه الملفات، وتلك التي لا بد ان تتبع، دوافع سياسية تكتيكية. فتكوين الطبقة السياسية الاسرائيلية، المرتبطة عضوياً بالكوادر العسكرية السابقة، يجعل من كل فضيحة حربة قديمة سلاحاً مفيداً في وجه خصوم اللحظة الراهنة. لا علاقة، اذاً، لهذه الاعترافات، اقلّه حتى الآن، برغبة في التكفير عن الذنوب، كما حصل في المانيا خلال العقود الماضية وكما بدأ يحصل في اليابان. لكن الدوافع التكتيكية والحسابات السياسية، مهما تكن صغيرة، لا تنفي اهمية الظاهرة. اذ انها المرة الاولى التي تطاول فيها الملفات المفتوحة قدس الاقداس، اي الجيش. ولعلها بذلك اخطر وقعاً على المجتمع السياسي الاسرائيلي من اكتشافات المؤرّخين "المراجعين" (اي دعاة مراجعة كتابة التاريخ الرسمي) مثل بيني موريس وتوم سيغيف وسمحا فلابان حول وقائع طرد الفلسطينيين وتدمير قراهم عام ١٩٤٨. فتلك الاكتشافات ظلت، على اهميتها، قابلة للهضم، لان الجميع في اسرائيل يعرف انه ما كان للدولة ان تقوم لولا الفظاعات "المفيدة" المرتكبة. اما الوقائع المكتشفة حديثاً، فلا يمكن تبريرها بضرورات التأسيس. ثم ان الفضيحة التاريخية في هذا الموضوع مرشّحة للتفاقم لانها تخطّت حلقة المؤرخين والباحثين الجامعيين، اذ وضعت الصحافة يدها على الملفات. وعليه، يمكن توقّع المزيد من الاعترافات في الاسابيع المقبلة، ما لم تتحرك الرقابة العسكرية فتعيد العمل باسطورة "السيف النظيف".

بيد ان مجرد التأخر في تدريك هذه الاسطورة هو بالغ الدلالة. فهو يدل، وربما اكثر من "حرب التلال" في الضفة الغربية، ومن الصدامات بين الشرطة وغلاة المتطرفين، على بلاغة الاثر الذي بدأ يتركه عصر انسلام في الجسم السياسي الاسرائيلي.

سمير قصير